السفير
25/04/2012 العدد: 12167

«لحظات من الداخل» في غاليري «أجيال»

أروى سيف الدين وهندسة الضوء

أحمد بزون

تصور الفنانة أروى سيف الدين الضوء، بانية جسور العلاقة بين الضوء الموجود خارجها في الأبنية والردهات والأماكن العامة، والضوء النابع من داخلها، أي المتخيل والمتدفق من الإحساس والانفعال والمزاج الهادئ. هذا التأرجح بين مصدرين للضوء سمح للفنانة بأن تلعب بحريّة في مساحة اللوحة، بل تلهو بافتتان وبهجة كما ظهر في اللوحات.

في المعرض، الذي تقيمه في «غاليري أجيال» (لغاية 28 نيسان الجاري)، وتعرض فيه 15 زيتية بأحجام متوسطة في غالبيتها، نجد تلك الأبنية الهندسية التي تكونها في اللوحة، فصورة الواقع ليست غائبة بالطبع وإن وضعت الفنانة عنوان «لحظات من الداخل»، ويلتبس هنا معنى الداخل بين داخل الأبنية وداخل الفنانة، وهو التباس حائر هنا. فالمشاهد يرى تلك القاعات الضخمة ذات العماد العالية المقنطرة، حيث الفسحة العريضة التي تتسع للحركة التي تبنيها الفنانة، الحركة الناتجة عن التقاطعات الهندسية أولاً والضربات الحرة ثانياً، ثم عن تناوب الضوء والظل ثالثاً.

تحافظ الفنانة على هيبة الهندسة، أي هيبة الأمكنة التي تختارها مواضيع للوحاتها، لكنها تعمل دائماً على كسر منظورها، وتفعيل أبعادها، وتجعلنا نرى من دون لبس تعاقب المساحات والأعماق. تشتغل في هذا المجال بمهارة بيّنة، ذلك أنها، في الأساس، مختصة بالهندسة الداخلية، وتعرف كيف تظهر الأبنية بشكلها المغري. لذا تحضر الأناقة بجلاء، أناقة البناء، حيث تصور أبنية فخمة ومدنية، بهندسة مركبة، بعيداً عن البساطة والتبسيط. ثم أناقة اللون الذي تضعه بتدقيق وتأنٍ وبحدود خطية واضحة وبصوغ لوني لا يستهين حتى بالتفاصيل.

تبقى الأناقة مستمرة حتى عندما تعمل الفنانة على اللعب بالزوايا الهندسية، كأن تميل بالخطوط، أو تداخل مع الواقع ما هو متخيل، أو تحرك الواجهات والأبواب. تساعد على استمرار تلك الأناقة الألوان التي تستخدمها، تلك التي تنحاز أكثر لأناقة الأسود والأبيض. أي إن الفنانة تبدو أكثر ميلاً لاستخدام الألوان المعتمة الغامقة أكثر من تلك المضيئة، فيغيب الأحمر والأصفر والأخضر وما إلى ذلك، وإن حضرت هذه الألوان في «الباليت» بهدف المزج، أو ظهرت نادراً في مساحة اللوحة لتنسيق الإضاءة.

وقد تكون لعبة الضوء والظل سبباً للاتجاه نحو الألوان الأقرب من الأبيض والأسود. إن هذه اللعبة هي التي تقود الفنانة مرة لتستعير الإضاءة من داخلها، ومرة أخرى لتفرض على البناء الفني ألا يبقى أحياناً خلف الأبواب وفي الصالات وفي المداخل والواجهات فتفتح الإضاءة على الخارج، الذي هو الطبيعة. لكن الانفتاح على الطبيعة نادر جداً في المجموعة المعروضة، ما يجعل الهندسة داخلية و«اللحظات» داخلية أيضاً، كما جاء في العنوان، وما يفلت العنان للهندسة لتكون الأسلوب الأساسي في بناء اللوحة، بل في تعميرها. تلك الهندسة التي تبقى حتى لو عملت الفنانة على رسم وجه. مع أن هذا الأسلوب يحرم الفنانة من شعرية فسحات الطبيعة وتنوع أشكالها، التي قد يضفي حرارة أكثر على المساحة العامة، وإن كانت هذه الحرارة موجودة في حياكة التفاصيل بالكثير من التجريد الذي يتوافق وحركة الضوء.

تقدم الفنانة ما يشبه لعبة المرايا، فهي تطلق الضوء عبر هذه المرايا وتحركه، ثم تتبعه خالقة له فضاءات منفتحة على التأويل أحياناً. وهكذا تتحرك العين مأخوذة بالضوء وألوانه، ثم مأخوذة بالإيقاعات التي تولّدها هندسة الضوء.

ممتعة لعبة سيف الدين بالظل والضوء، ومتقنة ألوانها، ومميز أسلوبها... لكنها تخاطب العين وحدها، في وقت يتطرف فيه الفن التشكيلي اليوم، أكثر مما سبق، نحو الفن المفهومي.

أحمد بزون

SHARE